الله المختفي وخديعة التدبير
نقد الرَّابطة بين الاحتجاب الإلهيِّ والشرِّ المجَّانيّ

أمير عباس علي زماني

أستاذ فلسفة الدين في جامعة طهران - إيران

ملخص إجمالي:

لا تنحصر صيرورة الوعي في الوجود بمسألة الصدور وإظهار الكون من حيِّز الكتم إلى عالَم الظهور، بل تتعدَّاها لتشمل الصيرورة بما بعد الكون أيضًا، أو ما يُسمَّى التدبير في الاصطلاح الفلسفيِّ والميتافيزيقيّ. من هنا، تتجلَّى حقيقة الظهور الإلهيِّ عبر فعل الله وأنساق تجلِّياته في هذا العالم. وقد ذهب فيلسوف الدّين المعاصر ويليام ليونارد رو إلى أنَّ وقوع الشرِّ في العالم دليلٌ برهانيٌّ على جدليَّة الوعي الوجوديِّ، حيث إنَّ الإله الذي تقدِّمه الأديان الإبراهيميَّة هو موجودٌ، كاملٌ، عالمٌ، غنيٌّ، قادرٌ، ممَّا يعني أنَّ إلهًا كهذا يمكنه أن يتدخَّل ليمنع وقوع الشّرِّ، من دون أن يؤدّي ذلك إلى نقصان خيرٍ ما أو تفادي شرٍّ أكثر. فالتبيين الميتافيزيقيُّ لهذا الإله غير صحيح، وبالتالي ليس هناك إلهٌ بهذه الأوصاف التي تقدِّمها الأديان الإبراهيميَّة، وعليه لا يمكن تسويغ هذه الشُّرور المجانيَّة.

رغم إمكانيَّة صياغة البرهان على أنَّ الاختفاء الإلهيَّ هذا من الشرِّ غير المبرَّر، لكنّه قد ابتُلي بإشكالات عدَّة لا يمكن تجاوزها، حيث إنَّ حريَّة الاختيار والفاصلة المعرفيَّة يجعلانه غير قابل للنهوض بالمدّعى.

* * *

مفردات مفتاحيَّة: صيرورة الوعي - الاختفاء الإلهيّ - خديعة التدبير - الكتم - الشرُّ المجَّانيّ- شلينبرغ.

ـ ترجمة: محمود صالح.

ـ مراجعة: علي محمود

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

لقد سعى كثيرون من الفلاسفة في العقود الأخيرة إلى بيان بعض المصاديق التي تثبت مدّعى أعلاه، منها قضيَّة الله المختفي أو الاحتجاب الإلهيُّ، وقد قدَّم الفيلسوف شلنبرغ هذه المسألة بصورة برهانيَّة إلحاديَّة لنفي وجود الله، باعتبار أنَّ كثرة من الناس يسعون بصدق وجدٍّ خلال حياتهم الإيمانيَّة كي يتلقَّوا إشارة من الله أو علامة على وجوده، ولكنَّه يسلب هذا الإمكان عبر اختفائه وعدم ظهوره، والنتيجة أنَّ الكثير منهم لا يمكنه الاعتقاد بالله عبر الأدلَّة الإيمانيَّة المتوارَثة (traditional proofs) والتي لا يرونها مقنعة لهم. فإذا كان الله موجودًا ولا يتحقَّق الفلاح والنجاة إلَّا بالإيمان به، فإنَّه باختفائه يكون قد سلب هذا الفوز والفلاح من عباده، وإذا كان موجودًا فلا يوجد أيُّ مُرجِّح لسلب عباده السعادة، وبما أنَّه حسب الفرض، غير موجود، فهذا كافٍ لتوجيه الإلحاد. لكنَّ السؤال: هل يمكن تلقّي الاحتجاب الإلهيِّ بوصفه مصداقًا للشرِّ، وهل صحيح أنَّه لا يوجد مبرِّر لهذا الاختفاء والاحتجاب الإلهيّ؟

تمهيد

لعلَّ أبرز اهتمامات الفلسفة التحليليَّة المعاصرة هو تحديد العلاقة بين مسألة الاحتجاب الإلهيِّ ومسألة الشرِّ؛ فقد تمَّ تظهير هذا المفهوم لأوَّل مرَّة من جانب فيلسوف الدين المعاصر، شيلينبرغ[1]، حيث اعتبر أنَّ احتجاب الله يشكِّل قرينة (evidence) وبرهانًا على عدم واقعيَّة الإيمان بالله تعالى، كما أنَّ احتجابه دليل على رجحان احتمال عدم وجوده. وفي اعتقاده أنَّ الاحتجاب الإلهيَّ لا يتوافق مع صفاتٍ ميتافيزيقيَّة تثبتها الديانات التوحيديَّة، من قبيل: القادر المطلق، العالم المطلق، الخير المحض، واللُّطف اللَّامتناهي.

---

[1]- J. L. Schellenberg.

جون إل شلينبرغ (من مواليد 1959) فيلسوف كندي متفرّغ بعمله في مباحث فلسفة الدين، حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة أوكسفورد، وهو أستاذ الفلسفة في جامعة ماونت سانت فنسنت، وأستاذ مساعد في كليَّة الدراسات العليا في جامعة دالهوزي، وكلتاهما في هاليفاكس، نوفا سكوتيا.

لقد كان تطوير شلينبرغ المبكر لحجَّة الإلحاد من الاحتجاب الإلهيِّ مؤثّرًا، حيث قام في مجموعة من مؤلَّفاته بصياغة منحىً خاصٍّ من المعتقد الدينيِّ ينسجم مع فكرة التشكيك الدينيَّة العامَّة (skeptical religion)، والذي يعتبره متوافقًا مع الإلحاد.

وقد تحوَّلت فكرة التشكيك هذه إلى منهجٍ مستحكم عند البعض ممَّا أدَّى إلى ظهور ما يُعرف بـ (الشّكوكيَّة الدّينيَّة) أو (الاتجاه الشّكيّ) والتي هي، كمصطلح، تدعم الأساليب العلميَّة والتاريخيَّة .

والتّشكيكيون ليسوا بالضرورة ضدَّ الدين وإنما يشكّكون بالمعتقدات، كلًّا أو جزءًا، كما يشكّكون بالأديان رغم اعتقادهم بوجود الله. وقد تساءل بعضهم عمَّا إذا كان الدين موضوعًا متاحًا للنقد متوهّمًا اعتبار أنَّ الإيمان يلغي الحاجة إلى الدليل، وهذا غير صحيح خصوصًا عند تظهيره لقضايا تتعارض مع ما يقدِّمه العلم.

وجد الكثير من الأعمال التي تبحث في الأمر منذ أواخر القرن العشرين لفلاسفة مثل شلينبرغ وموسر؛ إذ نشر كلاهما العديد من الكتب المتعلِّقة بالموضوع ركزت كثيراً على تحديد ماهيَّة الدين وما يشكِّك الناس فيه على وجه التحديد.

طور شلينبرغ في كتابه الإخفاء الإلهيّ والعقل البشريّ، حجَّة الإخفاء الإلهيِّ (أو حجَّة الإخفاء) ضدَّ وجود الله، وقد أحدث بلبلة في الأوساط العلميَّة حتى اليوم باعتبار أنَّ العلاقة لا بدَّ من أن تكون واعية بين الله، باعتباره الموجود المحبَّ الأكمل والمطلق كما يُصَوّر، وعباده لا حاجة إلى مقاومتها أو رفضها، وهذا غير متوفِّر على الإطلاق.

وأجيب أنَّه حتى الإله المحبّ قد يكون لديه أسباب للاحتجاب ناتجة من أمور مثل حريَّة الإنسان ولوازمها، أو عدم استعداده لعلاقة كاملة مع الله وغيره.

ومع ادِّعاء شلينبرغ أنَّ هذه القضيَّة أي (الاحتجاب[1] والاختفاء الإلهيّ)، قد أُثيرت بنحو متمايز ومستقلٍّ عن مسألة الشرِّ، إلَّا أنَّ العديد من المفكِّرين اعتبروها مصداقًا للشرِّ بما تشكِّله من قرينة واحتمال على عدم وجود الله[2]؛ كما أنَّ تحليل شلينبرغ لهذه القضيَّة لا يمكن من خلاله تبرير اختفاء واحتجاب الله عن عباده بأيِّ طريقة ممكنة؛ وهنا يتبادر إلى الأذهان أنَّ حجَّته هي مصداق للشرِّ غير المبرَّر الذي سعى ويليام رو لإثباته.

برهان جون شلينبرغ الإلحاديُّ المبتني على الاحتجاب الإلهيّ:

من المهمِّ القول أنَّ السؤال عن سبب اختفاء الله واحتجابه بين أتباع الديانات الإبراهيميَّة وفي الأبحاث الكلاميَّة له تاريخ طويل يقارب عمر هذه الديانات التوحيديَّة، إلَّا أنَّه طُرح لأول مرة عام 1993 في قالب برهان إلحاديٍّ من قِبل جون شلينبرغ الذي قدَّم حجَّته بشكل دليل برهانيّ[3]. بهذه الطريقة أراد الأخير تبيين أنَّ وجود الله كفرضيَّة مهمٌّ للغاية، فإذا لم يتمكَّن من إثبات غياب الله بطريقة قطعية، فإنّه على الأقلِّ يستطيع أن يزيد من احتمال صحَّة هذا الادِّعاء إلى حدٍّ كبير. أمَّا الشكل الأول لدليل شلينبرغ الاحتماليِّ والاستقرائيِّ المبنيِّ على الاختفاء والاحتجاب الإلهيِّ، فهو عبارة عن:

(1) إذا كان هناك إلهٌ فهو رحيمٌ بلا حدود؛

(2) إذا كان هناك إلهٌ رحيمٌ بلا حدود، فإنَّ عدم الإيمان والإلحاد المبرهن أمرٌ غير متحقِّق (non- believe reasonable).

(3) الكفر المبرَّر[4] أمرٌ متحقِّق؛

(4) لا وجود لإله رحيم بلا حدود؛

(5) ليس هناك من إله[5].

كما يتبيَّن، فإنَّ شكل البرهان صحيح ومقدِّمته (1) دعوى موضوعيَّة مطابقة للتعريف الذي يقدِّمه المؤمنون بوجود الله؛ وكذلك ينتج من المقدِّمتين (2) و (3) الفرض (4)، كما أنَّ الفرض (5)

---

[1]- هناك ترجمات عدَّة للكلمة « Hiddenness» كمصطلح متداول في أدبيَّات مباحث فلسفة الدين يمكن للمطالع أن يلحظها، منها: الخفاء، الاختباء والاحتجاب.

[2] -The existence of evil is evidence of the non-existence of God.

لا تُعدُّ هذه الإشكاليَّة إشكاليَّة تناقضيَّة تدور بين الوجود والعدم، وإنَّما وجود الشرور يجعل الإيمان بإله خيرٍ محضٍ وعالمٍ محضٍ وقادرٍ محضٍ امرًا غير معقول.

[3]- - ليس المراد بالبرهانيِّ هو المعنى المنطقيُّ في الفلسفة المتعارفة، وإنَّما الاحتمال المعتدُّ به تبعًا لما توحيه الكلمة الإنكليزيَّة في مسألة الشرّ البرهانيَّة (The evidential problem).

[4]- -Justification.

[5]- -Schellenberg, John L. Divine Hiddenness and Human Reason, p: 83

هو النتيجة المنطقيَّة (1) و(4)؛ المقدِّمتان (2) و (3) هما محلُّ البحث في فرضيَّات هذه الصورة من الاستدلال، ولكن شلينبرغ يحتاج لإثبات صحَّة هاتين المقدِّمتين حتى تكتمل صورة البرهان. فهو يعتقد أنَّ المقدِّمة «الفرضيَّة» (3) موثوقة؛ إذ هناك أشخاص في هذا العالم لا يمكنهم الاعتقاد (Belief and Faith) من دون أدلَّةٍ كافيةٍ ومقنعة؛ ورغم سعيهم بصدق طوال حياتهم للتوصُّل إل هذه الدلائل، لا يتوصَّلون إلى شيء منها، ونتيجة لذلك، فإنَّهم يواجهون ويرفضون بشدَّة فكرة الاعتقاد بالله (Belief in God).

يرى شلينبرغ إمكانيَّة طرح مسألة الاحتجاب الإلهيِّ بطرق وأشكال متعدِّدة، إلَّا أنَّ الجوهر الأساس لهذه الطرق والأشكال جميعًا هو «العشق وحقيقته»، وكذلك بناء وترسُّخ هذه العلاقة مع الله وما يستلزمه ذلك من اعتقادٍ وحصول الإيمان به[1].

يعتقد الرجل أنَّه لو كان هناك وجودٌ لإله متشخِّص يتَّصف بالرَّحمة المطلقة، فإنَّ كلَّ من له استعداد من النَّاس يمكنه أن يقيم مع الله علاقة واعية وواضحة وممتلئة (Clear and bright) وذات معنى (Meaningful relationship) وقيمة (valuable)، لا بل يكونون دائمًا في وضع يمكِّنهم من المساهمة بهذه العلاقة، شرط أن يقوموا بذلك بجهد ومثابرة[2]. ولا شكَّ، كما تقول الحكمة، في أنَّ من الواجب على الإله اللَّامحدود (الغنيِّ المطلق) المحبِّ لعباده، أن يُظهر بعض علامات وجوده، ويكاشف حضوره لأولئك الذين يشتاقون إليه بصدق، ولديهم الرَّغبة في أن يكونوا في علاقة عشق متبادلة معه، ذلك بأنَّ الشّرط الأساسيَّ لارتباط كهذا هو حضور المحبوب وتجلّيه[3].

ومن أجل تقييم أفضل لهذه الصورة، لا بدَّ من دراسة بعض أسُس هذا البرهان ومبانيه.

أولًا: مفهوم الاحتجاب في برهان شلينبرغ

يقدِّم تراكاكيس[4] تصوُّرين لمفهوم الاحتجاب:

---

[1]- -Schellenberg, John L.'The Hiddenness Problem and the Problem of Evil', Faith and Philosophy, Vol. 27, No. 1, p: 45.

[2]- Schellenberg, John L.'The Hiddenness Argument Revisited (I)', Religious Studies. P: 202.

[3]- إنَّ الدليل الذي يقيمه شلينبرغ وغيره من الفلاسفة جوهره نقطتان أساسيّتان:
إنّ الله موجود كاملٌ مطلق، غنيٌّ مطلق، يسعى لإقامة علاقة وارتباط مع عباده، إذ هو محبٌّ لهم يدعوهم إلى نفسه.
هذه العلاقة تحتاج إلى طرفين:
الأول: وجود عباد مستعدّين لذلك، وهذا حسب الفرض حاصل.
الثاني: أن يظهر الله نفسه ويكاشف عباده، وهذا حسب الفرض غير متوفِّر لوجود كثيرٍ من الناس يسعون بصدقٍ للارتباط القلبيِّ والعقليِّ مع إله كهذا لكن لا يحصلون على نتيجة.

[4]- - Nick Trakakis
نيك تراكاكيس فيلسوف أسترالي، وهو مدير مساعد لمركز الفلسفة وفينومينولوجيا الدين في الجامعة الكاثوليكيَّة الأستراليَّة، قام بالتدريس سابقًا في جامعة موناش وجامعة ديكين، وهو مهتمٌّ بشكل رئيسيٍّ بمناسبات الفلسفة في كلٍّ من المدرسة التحليليَّة والقاريَّة، وكذلك الدين واللَّاهوت.

1. إنَّ دلائل سماح الله للشرور، وخصوصًا الشرور الكارثيَّة والمفجعة، غالبًا ما تكون غامضة أو فوق إدراكاتنا.

2. إنَّ وجود الله ومحبَّته أو اهتمامه، غالبًا ما يُتصوَّر على أنّه ليس واضحًا لنا، أو أقلَّه ليس واضحًا للكثيرين منا، وهذا ما يبدو كونه الأكثر إثارة للدهشة[1]. أمَّا شلينبرغ فيعتبر الاحتجاب مفهومًا غامضًا ومبهمًا وبالتالي مضلِّلًا؛ لأنَّه رغم الادّعاء بأنَّ اختفاء الله واحتجابه يمكن اعتباره دليلاً محتملاً على عدم وجوده، إلَّا أنَّه في لاهوت الديانات التوحيديَّة، ليس غياب الله موجّهًا تمامًا فحسب، بل أيضًا لا يمكن أن يكون قرينة على عدمه، بل في الواقع هناك تأكيد على الاختفاء والاحتجاب الإلهيِّ، ولذلك، يرى شلينبرغ أنَّ من الضروريَّ بيان التمايزات وتوضيحها لتجنُّب الغموض والإبهام. وبناءً عليه، يمكن وضع تفسيرات ثلاثة لمفهوم الاحتجاب:

1. خفاء وجود الله؛

2. عدم قبول ماهيَّة الله للفهم.

3. عدم قدرتنا على تشخيص المنهج الصحيح لفعل الله وتدخُّله في هذا العالم.

ثمَّ يذكر شلينبرغ أنَّ الاحتجاب الذي يعنيه يتوافق مع التفسير الأول، وأنَّ كلَّ ما يسعى لبيانه هو أنَّ وجود الله يمكن أن يكون أكثر وضوحًا للبشر[2]. ولذلك، من الواضح أن قصده يقوم على أنَّ الله قد حجب عن بعض الناس قرائن تُظهرُ وجوده. وبما أنَّهم لا يستطيعون الإيمان بشيء من دون دليل واضحٍ يدلُّ عليه، فقد سلبهم الله بفعله هذا نعمة الإيمان به رغم استعداداتهم وقبولهم لذلك، وهذا ما ينافي علاقة العشق والمحبَّة اللَّامتناهية معه؛ وهو الأمر الذي يعتقده المؤمنون به.

ثانيًا: مفهوم العشق في برهان شلينبرغ

يعتقد شلينبرغ أنَّ قضيَّة الاحتجاب الإلهيِّ هي قضيَّة معرفيَّة خطيرة للإيمان بالله والاعتقاد به، لأنَّ عبارة «الله موجود» هي عبارة توحيديَّة مبنيَّة على وجود الله، وهو قضيَّة غير مطمئنة من الناحية المعرفيَّة بالنسبة إلى الكثيرين منا؛ ويستدلُّ بأنّه إذا كان الله عظيمًا بما يفوق الوصف، فهو تمامًا رحيمٌ بما يفوق الوصف؛ ورغم كون العشق أحد أكثر الصفات المدهشة التي نعرفها من حيث المضمون والتّنوُّع، إلَّا أنَّ العشق المقصود في البرهان هو السَّعي لإيجاد

[1]- -Trakakis, Nick 'An Epistemically Distant God?, A Critique of John Hick's Response to The Problem of Divine Hiddenness', The Heythrop Journal, Vol. 48, p: 214.

[2]- -Schellenberg, John L. Divine Hiddenness and Human Reason, p: .4

رابطة وعلاقة صادقة وهادفة من المحبِّ مع محبوبه[1].

ومن المؤكَّد أنَّ العشق في برهان شلينبرغ يتضمَّن محبَّة الخير، إذ إنَّ علاقة محبَّة الله لعباده تحمل أجمل معنى عن إرادة الخير، لكنَّه استبدل عامدًا المحبَّة الإلهيَّة بخاصّيَّة الخير المحض لله؛ لأنَّ مفهوم الحبِّ له معنى أعمق دلالة مقارنة بمفهوم الخير، كما سعى باهتمامٍ بالغ لتسليط الضوء على مسألة توضيح العلاقة بين الحبِّ الإلهيِّ والرَّغبة في إيجاد علاقة قويَّة مع الله، فقد بيَّن أنَّه لو كان الله يحبُّ عباده، لكان عمد إلى أن يبني معهم علاقة واضحة كي يطيعوا ويؤمنوا، إذ طلب سعادة المعشوق أهمُّ لازمة من لوازم العشق، وينبغي للعاشق أن يكون حاضرًا مرتبطًا مع محبوبه في بوثاقٍ قويٍّ؛ يستمع نجواه ويجعله موئل كلِّ اهتمامه[2].

لذلك، فإنَّ التأكيد على لفظة العشق في برهان شلينبرغ يدلُّ على لزوم إقامة علاقة وثيقة ثنائيَّة بين الله والإنسان أكثر من أيِّ شيء آخر.

ثالثًا: مفهوم الله ومفهوم الإلحاد المبرَّر في برهان شلينبرغ

لا تقدِّم الأديان الإبراهيميَّة مفهوم الله[3] بصورة متطابقة وثابتة من حيث الصفات رغم إمكانيَّة التغاضي عن بعض الخلافات الجزئيَّة؛ بمعنى أنَّ الله المقصود في برهان الاحتجاب الإلهيِّ هو معنى الله نفسه في الإيمان التقليديِّ؛ أي الإله المتشخَّص بالرَّحمة التي تفوق الوصف[4].

يعترف شلينبيرغ بوضوح بأنَّ ما يعنيه بالله هو الوجود الغائيُّ ذو ماهيَّة الخير والعدل بالضرورة[5]، وهو خالقٌ متشخِّصٌ وقديمٌ، قادرٌ مطلقٌ، عالِمٌ مطلقٌ، ذو الرَّحمة الواسعة واللَّامتناهية التي يصدِّق بها المؤمنون بالديانات الإبراهيميَّة[6]. ومن الواضح أنَّ تأكيده على سمات العشق الإلهيِّ وخصائصه يتطابق بشكل ملحوظ مع المسيحيَّة التقليديَّة حيث اللُّطف من أركانها الأساسيَّة في تعريف الإله. وأمَّا إله اليهود فهو أكثر صرامة وجديَّة، بينما الإله المقدَّم في الإسلام هو متوازن يشتمل على جميع المراتب، وهذا ما يؤكِّد أنَّ الصورة التي قدَّمها شلينبرغ عن الإله، الذي يحتمل عدم وجوده، متطابقٌ مع ما تعتقده الأديان الثلاثة.

لكن الأهمَّ في تحليل برهانه حول الاحتجاب الإلهيِّ هو بيان ما يقصده من استخدام كلمة

---

[1]- -Howard-Snyder, Daniel, and Paul K. Moser. Divine Hiddenness, p: .41 - 31.

[2]- -Schellenberg, John L. Divine Hiddenness and Human Reason, p: .17.

[3]- -Justified atheism.

[4]- وهو ما يعبرّ عنه في أدبيَّات علم الكلام الإسلاميِّ بالكمال على الإطلاق، الرَّحمن على الإطلاق، الرحيم على الإطلاق، وهكذا... راجع: Howard-Snyder, Daniel'Hiddenness of God', Encyclopedia of Philosophy, p: .1.

[5]- أي الله هو واقع موجود من سنخ القضايا الضروريَّة (القضايا بشرط المحمول).

[6]- -Howard-Snyder, Daniel, and Paul K. Moser (eds.) (2002). Divine Hiddenness, p: .40.

الإلحاد المبرَّر. في اعتقاده أنَّ هناك بعض الأشخاص الذين لا يمكنهم الاعتقاد والتصديق بشيء، إلّا من خلال أدلَّة كافية أو تجربة، فإذا ما أرادوا أن يؤمنوا بالله، فلا بدَّ من أن تتوفَّر لهم الحجج المُحكَمة (full reasons) أو التجارب الإلهيَّة (Divine experiences)، ولكن بما أنَّ مثل هذه الأدلَّة غير متوفِّرة لهم، وبما أنَّ الله لا يكشف لهم عن نفسه من خلال التجارب الدينيَّة، فإنَّ ذلك يؤدّي إلى عدم إيمانهم به، هذا في حين أنَّ لهؤلاء الناس وضعهم التبريريّ، لأنَّه على فرض أنَّ هناك إلهًا خالقًا، فهو من خلقهم بهذه الكيفيَّة، أي لا يقبلون أيَّ شيء من دون دليل أو مكاشفة وهو ما نسمّيه الحجَّة المُحكَمة، كما أنَّ عدم إيمان هؤلاء لا ينبغي أن يفسَّر نتيجة لكفرهم ومعصيتهم، أو عدم امتثالهم للأوامر الإلهيَّة (Divine Orders)[1].

يمكن ترسيم وبيان هذا المطلب على النحو التالي:

إذا كان الله موجودًا، فلكلِّ فرد s في زمن t، على فرض كون s لديه استعداد لعلاقة شخصيَّة مع الله في زمن t، فإنّ s في الوقت t، يمكن أن يكون له علاقة شخصيَّة مع الله، (أي أنَّه يمكن لـ s أن يكون له مثل هذه العلاقة في زمن t، (وهذا تابع لقانون الاختيار)، هذا ما لم يكن s في الوقت t في وضع غير منسجم وغير مستعدّ[2].

وبيان محدَّد أكثر:

إذا كان الله موجودًا A يعين:

A (الله موجود) = (S) "كلُّ إنسان"× T "الزمان"(= (D) "علاقة شخصيَّة" Z (إرادة واختيار).

وعليه: D = (T × S) إلاَّ إذا كان هناك (Z) (عدم اختيار أو عدم استعداد)[3].

ويرى شلينبرغ أنَّ الإلحاد المبرَّر هو نوع من الإلحاد غير المذموم؛ فلا يمكن اعتبار الملحد مقصِّرًا على عدم إيمانه لأنَّ الإيمان ظاهرة لا إراديَّة، إذ يحقُّ لنا أن نتوقَّع من الله تهيئة الأرضيَّة لنا[4]، التي تجعلنا نؤمن بوجوده بأدلَّة وحجج كافية، لأنَّه إن كان موجودًا فهو رحيمٌ مطلقٌ (فوق ما يتصوَّر) ويحبُّ عباده ولا يريد لهم سوى السعادة الأبديَّة[5].

فالارتباط الشخصيُّ مع الله يمكن أن يهيّئ للبشر النعيم المقيم، ولكن ما يحدث خلاف

---

[1]- -Schellenberg, John L. Divine Hiddenness and Human Reason, p: .45.

[2]- -Howard-Snyder, Daniel. The Argument from Divine Hiddenness, p: .2.

[3]- المترجم.

[4]- وهذا ما يعرف بأدبيَّات البحث الكلاميِّ باللُّطف، فيجب على الله في الحكمة أن يهيّئ لنا أسباب الهداية.

[5]- -Ibid-2.

ذلك إذ بدل الإيمان المبرَّر والمقبول يحدث الإلحاد المبرَّر طالما لم يقدِّم الله أدلَّة إيمانيَّة كافية (sufficient theistic evidence) لبعض عباده.

رابعًا: الاختفاء والاحتجاب الإلهيّ ومسألة الشرّ

يتفق جمعٌ من الباحثين وفلاسفة الدين على أنَّ تشابك قضيَّتَي الاحتجاب الإلهيِّ ومسألة الشرِّ أمرٌ لا يمكن إنكاره؛ ويرون أنَّ الاحتجاب هذا مصداق للشرِّ المجانيِّ (Unjustified Gratuitous evil)، بل يذهب البعض إلى أنَّ أصل المسألتين واحدٌ، إذ «من الصعب جدًّا التمييز بين مسألة الاحتجاب الإلهيِّ ومسألة الشرِّ، ومن الممكن أن يكون الاحتجاب اسمًا آخر لمسألة الشرِّ؛ فهناك جنبتان لهذا الاحتجاب: جنبة أخلاقيَّة، وجنبة معرفيَّة، ولا شكَّ في أنَّهما مجتمعتين تشكِّلان مسألة «الشرّ»[1].

كذلك يحاول بعض المفكِّرين تفسير الفرق بين هذين الاثنين؛ وعلى سبيل المثال، يحاول شنايدر احتساب نقاط الاختلاف بما يلي:

1. افتراض أنَّ الإلحاد المبرَّر حالة مستقلَّة عن الشرِّ وهو قرينة على عدم وجود الله؛

2. إنَّ الشرَّ والمعاناة قرينتان أكثر إقناعًا من الإلحاد المبرَّر؛

3. رغم أنَّ الإلحاد المبرَّر أضعف من الشرِّ وقرينة مستقلَّة على الإلحاد، لكن من حيث أنَّه يتمُّ بوساطته الإشارة إلى وجود المعاناة عينيَّة في العالم، يكون أقوى؛

4. صياغة البرهان المبنيَّة على الإلحاد المبرَّر تشبه البراهين الأكثر مقبوليَّة المبنيَّة على الشرّ[2].

ويؤكّد شلينبرغ، بدوره، على وجود أوجه شَبَهٍ بين المسألتين؛ حيث يعرض وجوه التشابه هذه في تصنيف منسجم:

أ- هناك صورتان لمسألتَي الاحتجاب الإلهيِّ والشرِّ: منطقيَّة (logical problem)؛ برهانيَّة (evidential problem)؛

ب- يشمل الاحتجاب، كما الشرُّ، أنواعًا مختلفة، يمكن تقرير برهانٍ منفصلٍ لكلِّ نوع منها؛

ج- ترتكز كلتا القضيَّتين على الألم والمعاناة؛

د- ترتكز كلتا القضيَّتين على أمور غير مرغوبة؛

[1]- -Howard-Snyder, Daniel, and Paul K. Moser. Divine Hiddenness, p: .26.

[2]- -Howard-Snyder, Daniel . 'Hiddenness of God', Encyclopedia of Philosophy, p: .1.

هـ - ترتكز كلتا القضيَّتين على أمور تتعارض بشكل واضح مع الخصائص الأخلاقيَّة الالهيَّة.

و- تكمن أصول مسألة الاحتجاب في مسألة الشرّ.

ز- يمكن حلُّ كلتا المسألتين بالإرجاع إلى نوع واحدٍ من الاعتبارات[1]؛

ح- برهان الشرِّ كدليل على الإلحاد أكثر استحكامًا من دليل الاحتجاب.

ط- عندما تجمع دلائل المسألتين معًا ضدَّ وجود الله، ينتج برهانًا مضاعفًا للإلحاد[2].

كذلك يرى أنَّ هذا لا يعني عدم وجود اختلافات واضحة بين المسألتين، إلَّا أنَّ الأهمَّ برأيه هو تقديم إجابات علميَّة مقنعة ومبرَّرة بعيدة عن أجوبة العوامِّ، مثل إدخال عامل الاختيار والإرادة الحرَّة كبيانٍ أساسيٍّ لسبب الشرور في هذا العالم، إذ إنَّ هذه وأمثالها، حتى الـ «ثيوديسا»[3] لا يمكن أن تكون إجابة مناسبة للاحتجاب[4].

الإلحاد المرن والتقرير الثاني من برهان الاحتجاب الإلهيّ:

في كتابه الآخر «حكمة الشكّ» تبرير الشكِّ الدينيِّ، يسعى شلينبرغ لتعديل وترميم الشكل الأول لبرهانه، ويحاول تعزيز وإحكام أسُسه من خلال إقامة وجهٍ جديدٍ مستفيدًا من تلك المقدِّمات نفسها. ففي هذه المحاولة، يستخدم مصطلح «الإلحاد المرن» (non-resistant non-belief) بدلاً من مصطلح «الإلحاد المبرَّر»، والذي لفت انتباه كلِّ النقاد. وكذلك يحاول أن يجعل الفرضيَّات والمقدِّمات في هذا البرهان أقلَّ نقدًا وإيرادًا.

صورة البرهان

يستعرض شلينبرغ برهانه كما يلي:

1. إذا كان الله موجودًا، فلا شكّ في أنَّ أيَّ شخص، أي (أ) يكون مرنًا أمامه بالضرورة[5]، و (ب) يمكنه أن يقيم معه علاقة واعيةً ذات معنى (meaning full)، و (ج) يكون في وضع يسمح له

---

[1]- بمعنى أنَّ ما يمكن أن يُقال في حلِّ مسألة الشرِّ يمكن أن يُقال في حلِّ مسألة الاحتجاب، وكذلك ما يمكن أن يُقال في تعميق مسألة الشرِّ يمكن أن يُقال في تعميق مسألة الاحتجاب.

[2]- -Schellenberg, John L.'The Hiddenness Problem and the Problem of Evil', Faith and Philosophy, Vol. 27, No. 1, p: .46

[3]- الثيوديسيا Theodicyأو نظريَّة العدالة الإلهيَّة أو العَدالةُ الإلهيَّة أو عِلْمُ تَبْرِير العَدالَة الإلهِيَّة أو إثْبات العَدالَة الإلهِيَّة هو فرع محدد من الثيولوجيا والفلسفة، يهتمُّ بحلِّ مشكلة الشرّ. المترجم.

[4]- -Ibid.

[5]- إنَّ قيد الضرورة هنا إنَّما هو لتوجيه جهة القضيَّة.
ومعنى التوجيه هو ما يفهم ويتصوَّر من كيفيَّة النسبة بحسب ما تعطيه العبارة من القضيَّة، وهي أي الجهة، لا يجب أن تكون مطابقة للمادَّة الواقعيَّة، فقد تطابقها وقد لا تطابقها. المترجم.

بالمشاركة في مثل هذه العلاقة.

2. لا يصحُّ أن يكون الشخص في وضع يسمح له بالمشاركة في علاقة واعية ذات معنى مع الله إلَّا إذا كان يعتقد حينئذٍ بوجود الله بالضرورة؛

3. إذا كان الله موجودًا، فإنَّ أيَّ شخص، أي (أ) يكون مرنًا أمامه بالضرورة، و(ب) يمكنه أن يقيم معه علاقة واعيةً ذات معنى، بالإضافة إلى كونه مؤمنًا بوجود الله؛

4. لطالما كان هناك العديد من الأشخاص الذين هم (أ) يتمتَّعون بالمرونة أمام الله، و(ب) يمكنه أن يقيم معه علاقة واعيةً ذات معنى، من دون أن يكون (ج) مؤمنًا بوجود الله؛

5. الله غير موجود[1].

ويذكر شلينبرغ أربعة مصاديق للملحدين المرنين:

- المؤمنون السّابقون (former believers).

- الباحثون مدى الحياة (lifelong seeker).

- المتحوِّلون إلى الديانات غير التوحيديَّة (converts to non-theistic religions).

- الكافرون المعزولون (isolated non- theists).

برهان ويليام رو الإلحاديّ بناءً على الشرِّ غير المبرَّر:

يحسن بنا التّعرُّض لقراءة الفيلسوف وليم رو حول الشرِّ غير المبرَّر باعتباره يتوافق مع كون الاحتجاب الإلهيِّ مصداقًا للشرِّ غير المبرَّر، لما في ذلك من إغناء للبحث وتوسيع للفكر، تتميمًا لتناول الفكرة بأبعادها المختلفة.

يمكن عرض الاستدلال البرهانيِّ للشرِّ من خلال التأكيد على ثلاثة وجوه مختلفة بثلاث قراءات مختلفة؛

الأوَّل: وجود الشرِّ بما هو شرٌّ؛

الثاني: كثرة الشرِّ وانتشاره بنحوٍ غير متوازن؛

---

[1]- -Tucker, Chris. 'Divine Hiddenness and the Value of Divine-Creature Relationships', Religious Studies, No. 44, p: .271.

وعليه، فإنَّ شكل هذا التقرير من البرهان لا يزال في صورته الأولى، مع فارق أنَّ شلينبرغ حاول تقديم برهان أقوى عن طريق تحوير الألفاظ واستبدالها.

الثالث: وجود شرٍّ لا يكون في تجويزه نفع بجهة مصلحة أولى، ولا يمنع حدوث شرٍّ أكثر منه.

ومن الممكن أن يقوم الملحدون بقراءة قضيَّة الإلحاد المحتملة في قبال الإيمان على أساس كلِّ وجه من هذه الوجوه؛ إلَّا أنَّ بعض الفلاسفة، ومن بينهم ويليام رو، اهتمّوا بمحاولة التلفيق بين الوجوه الثلاثة في تقرير الإلحاد قبال الإيمان؛ ويزعم ويليام أنَّ هناك أمثلة للمعاناة البشريَّة والحيوانيَّة في كلّ ركنٍ من أركان العالم تحدث بوفرة، إذ من غير المحتمل أن تكون كلُّ تلك الأمثلة من جملة الشرور التي تقع بجهة مصلحة أعلى لا تُتحصّل من دون وقوع هذا الشرِّ[1]؛ وقد صوَّر رو برهانه على النحو التالي:

- هناك معاناة شديدة يمكن لموجودٍ قادرٍ مطلقٍ وعالمٍ مطلقٍ، أي الله، أن يمنع وقوعها من دون تضييع تلك المصلحة الأعلى، أو يمنع بعض الشرور التي تقاس بالسيّئ والأسوأ.

- يمكن لموجودٍ قادرٍ مطلقٍ وخيرٍ مطلقٍ أن يمنع وقوع أيِّ معاناة شديدة، ما لم يوجب منعها فقدان مصلحة أعلى، أو يجوّز شرًّا أعلى بالقدر نفسه من السوء والأسوأ؛ ولذا - حسب رو - لا وجود لموجودٍ قادرٍ مطلقٍ وعالمٍ مطلقٍ، وخيرٍ مطلقٍ[2].

من الواضح أنَّ المقدِّمة الثانية مبتنية على ما يعتقده المتديّنون، ويمكن قبولها، بقليل من التسامح، من غير المتديّنين أيضًا. لكنَّ المقدِّمة المثيرة للجدل في البرهان هي المقدّمة الأولى؛ فهو يريد أن يتوصَّل إليها من خلال هذا البرهان:

لا توجد حالة من الخير يمكن أن ندركها تبرِّر بلحاظ الأخلاق أن يجوّز الله القادر والعالم المطلق هذا النوع من الشرور. ويستنتج من هذا المطلب ما يلي: لا توجد حالة من الخير تبرِّر أخلاقيًّا لله القادر المطلق والعالم المطلق أن يجوِّز مثل هذه الشرور[3].

مفهوم «غير المبرّر» في برهان رو

قبل شرح وتوضيح مفهوم «غير المبرَّر» في برهان رو، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّه لم يعتبر في أوَّل دليل أقامه أنَّ الشرور مورد البحث هي غير المبرَّر وعبثيَّة؛ فهو يشير إلى وجود الشرور في العالم، والتي رغم دفاع المؤمنين عنها بأنَّها مقدِّمة لخير ومصلحة أعلى أو دفعٍ لشرٍّ أكبر، تبقى عبثيَّة، ولكن

[1]- -Finberg john 2004, the many faces of Evil (Revised and Expanded Edition): Theological Systems and the problem of Evil, p: .217.

[2]- -Rowe, William L. 'The Problem of Evil and Some Varieties of Atheism', American Philosophical Quarterly, No. 16, p: .366.

[3]- -Rowe, William L. William L. Rowe on Philosophy of Religion, Selected Writings, Evil and Theodicy, p: .120.

بعد الانتقادات التي طالت يقينه في ادِّعائه وضعف استنتاجه الذي اعتمد منهج الاستقراء الناقص، اضطرَّ إلى إجراء تعديل اصطلاحيٍّ في تقريره، وتمَّ استبدال اصطلاح «عبثيٍّ» باصطلاح « غير مبرَّر»؛ ففي الواقع، كان مقصود رو من استخدام اللَّفظة الأخيرة هو أنَّ بعض الشرور إذا لم يمكن الاعتقاد بشكل جازم أنَّها عبثيَّة، فبالتأكيد لا يمكن إيجاد أيِّ مبرِّر لها.

مع اعتبار أنَّ المعاناة هي واحدة من المصاديق الواضحة للشرِّ في العالم، وكلُّ معاناة تُعدُّ شرًّا بغضِّ النظر عن أسبابها وأصولها. فقد اعتقد رو أنَّه إذا كانت هناك معاناة في العالم، فإنَّ الله القادر العالم المطلق يمكنه منع حصول ذلك من دون ضياع مصلحة أعلى، أو يجوّز شرًّا على القدر نفسه من السوء أو أسوأ. فهذه المعاناة مصداق واضح على الشرِّ غير المبرَّر؛ وبهذا التعريف، فإنَّ الشرَّ غير المبرَّر له من الجهة المنطقيَّة هو حالة ليست ضروريَّة[1].

مفهوم الله والإيمان في البرهان

يعرض رو تعريفًا جامعًا عن الله والإيمان من أجل تحديد حدود بحثه ليتقدَّم ببرهانه في المسير المطلوب؛ استخدم رو لفظة الله الجلالة في كلِّ المواضع التي ذكر فيها، وبالتالي فمن الواضح أنَّها تشير بوضوح إلى إله الديانات الإبراهيميَّة؛ رغم أنَّه يفرِّق، في مورد الاعتقاد بالله، بداية بين نوعين:

1. الإيمان المحدود، الذي يؤمن فيه أفراد بوجود موجود قادر وعالم مطلق، أزليٍّ، هو خيرٌ مطلق أوجد العالم.

2. الإيمان غير المحدود، الذي يؤمن معتقدوه بوجود نوع موجود ألوهيٍّ (واقع ألوهيّ).

الإيمان المحدود له معنى عامٌّ وشامل، يشمل الإيمان الموسَّع أيضًا؛ كما يمكن للإنسان أن يكون معتقدًا بالمعنى الأوسع من دون أن يكون معتقدًا بوجود موجودٍ، قادرٍ، مطلقٍ، وعالمٍ مطلقٍ، وخيرٍ محض وأزليٍّ أوجد العالم. بعبارة أخرى، إنَّ النسبة بين هذين النوعين من الاعتقاد (العامِّ والخاصِّ) هي نسبة مطلقة؛ ويتبنَّى وليام رو في تقريره الإيمان المحدود لا الموسَّع[2].

مصاديق الشرِّ غير المبرَّر من وجهة نظر رو

يُعدُّ برهان الشرِّ غير المبرَّر برهانًا ذا شكل صحيح ومعتبر، وإن كانت نتيجته تأتي عن طريق القياس، إلَّا أنَّ مقدِّمته هي نتيجة الاستقراء؛ فمن وجهة نظر منطقيَّة، إنَّ المقدِّمة الثانية للبرهان هي

[1]- -Trakakis, Nick. The God Beyond Belief, In Defence of William Rowe's Evidential Argument from Evil, p: .52.

[2]- Rowe, William L. 'The Problem of Evil and Some Varieties of Atheism', American Philosophical Quarterly, No. 16, p: .335.

عبارة عن موجبة جزئيَّة، وطالما تمَّ العثور على مصداق واحد لها في الخارج، فقد تمَّ إثبات صدقها؛ ولذلك فهو بحاجة إلى أن يذكر مثالاً لإثبات صدق مقدِّمة برهانه؛ والمثال الأول الذي يذكره هو مثالٌ خياليٌّ، فيقول: لنفترض أنَّ صاعقة في غابة بعيدة أشعلت شجرة جافَّة وهذا أدَّى إلى نشوب حريق في الغابة؛ يحترق غزال صغير محاط بالنيران ويعاني من عذاب شديد ناشىء من جروح الاحتراق والخوف من النار لأيام عدَّة قبل أن يموت؛ فبمقدار ما يمكننا أن نفهم، فإنَّ المعاناة الشديدة التي يتعرَّض لها صغير الغزلان عبثيَّة؛ لأنَّه من غير المعلوم على الإطلاق أن منع معاناته يؤدّي إلى ضياع خير أسمى (أو) وقوع شرٍّ مساوٍ أو أسوأ؛ ولا يبدو كذلك أنَّ هناك شرًّا مساويًا أو أسوأ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعاناته بحيث يتسبَّب في حدوث معاناة مسبِّبة عن منعها عنه؛ أفلا يستطيع الموجود القادر المطلق، العالم [والخير المحض] أن يمنع المعاناة المبالغ فيها والمفرطة حسب الظاهر عن هذا الغزال الصغير؟ الجواب واضح، حتى المعتقد والمؤمن يعترف بذلك ويقرُّ به؛ فكان من الممكن للموجود القادر والعالم المطلق أن يمنع بسهولة الاحتراق الشديد للغزال، أو إذا حدث الاحتراق [على الأقل] كان بإمكانه بدلاً من يبقى الغزال الصغير في ذلك العذاب الرهيب لأيام عدَّة أن يمنع ويحول دون معاناته الشديدة بإنهاء حياته في أسرع وقت ممكن. إنَّ المعاناة الشديدة التي يتعرض لها الغزال الصغير قابلة للمنع ويمكن الوقاية منها، وهي عبثيَّة إدراكنا وعلمنا[1].

ومن الأمثلة الأخرى التي يستشهد بها كمصداق للشرِّ غير المبرَّر هي القصة الحقيقيَّة للقتل الوحشيِّ لفتاة تبلغ من العمر خمس سنوات على يد زوج أمها في ولاية ميشيغان، والتي نشرت في الصحف يوم 3 يناير 1986؛ ففي أول أيام عيد رأس السنة، نُشر خبر مقتل طفلة تبلغ من العمر خمس سنوات خنقًا، والتي اغتصبها زوج والدتها بطريقة وحشيَّة في الليلة السابقة، وتركت مصابة بجروح خطيرة في جسدها[2]. فوفقًا لاعتقاد وليام رو، إنَّ القصَّة الرهيبة التي حدثت للغزال الصغير، والقصَّة المريرة والمروِّعة لفتاة تبلغ من العمر خمس سنوات، وأمثلة أخرى لا حصر لها والتي تحدث في العالم من حولنا كلَّ يوم، هي أمثلة على أنَّه إذا لم يكن من الممكن إثبات المقدّمة الأولى على التحقيق، فعلى الأقلِّ وبنحو القطع، يجعل التصديق بها معقولاً.

الاحتجاب الإلهيُّ مصداق من مصاديق الشرِّ غير المبرَّر

رغم التمايزات التي يقيمها شلينبرغ بين مسألتَي الاحتجاب والشر، إلَّا أنَّه كما يبدو يدرك تمامًا التشابه الواضح بين تقريره لمسألة الاحتجاب الإلهيِّ وتقرير رو للشرِّ غير المبرَّر؛ وهو يقول في هذا الصدد:

إنَّ برهان الاختفاء الإلهيِّ له تشابه مثير للاهتمام مع تفسير ويليام رو المثير للجدل لبرهانه

[1]- -ibid:337.

[2]- -Rowe, William L. William L. Rowe on Philosophy of Religion, Selected Writings, Evil and Theodicy, p: .120.

المبتني على الشرِّ. ويستدلُّ رو بأنَّ الله ليس لديه أيُّ سبب لتجويز وقوع الشرِّ غير المبرَّر، وبما أنَّ الله لا يستطيع أن يجوّز الشرور مورد البحث ما لم يكن لديه مثل هذا الدليل، لذلك يحقُّ لنا أن نعتقد بأنَّ الله غير موجود[1].

وهذا هو بالضَّبط التفسير الذي يسعى هو نفسه لإثباته في قالب طرح مسألة احتجاب الله، حيث يجعل هذا التشابه بين التقريرين أكثر وضوحًا من خلال طرح المقدِّمة الأولى لبرهانه بشكل آخر:

1. أنَّه إذا كان هناك إلهٌ رحيمٌ بلا حدود، فلكلِّ شخص S في زمان T إمكانيَّة أن يقيم علاقة وثيقة مع الله بشرط أن يكون لديه استعداد لرابطة وثيقة كهذه مع الله في الوقت T.

يعتقد كلُّ شخص S اعتقادًا معقولاً بأنَّ الله موجود، إلَّا إذا كان S غير قادر بنحوٍ غير مبرَّر على الإيمان بالله، أو أنَّ الله لديه دلائل مقنعة لتجويز عدم الإيمان به؛

2. يعتقد بعض الأفراد ملحدين بنحوٍ مبرَّر، رغم استعدادهم وميولهم لإقامة علاقة وثيقة مع الله؛

3. ليس لدى الله أيُّ دليل ليجيز إيمانهم المبرَّر؛

4. لا وجود لإله رحيم بلا حدود؛

5. لا وجود لله[2].

ونراه يصرِّح بالقول: أنَّ من الممكن لشخص التصديق بشيء مشابه للمبنى الاستنتاجيِّ لويليام بوساطة التقرير الذي قدَّمته، فمثل هذا الشخص يجب أن يكون قادرًا على بيان أنَّه لا يمكننا متابعة الدليل الذي يبرِّر الله وجود الله[3].

وبينما يشير شلينبرغ ضمنيًّا إلى التشابه بين تقرير دليله وتقرير دليل رو، فإنَّه يحاول استخدام أسُس ومباني ويليام لإثبات صدق برهانه. بعبارة أخرى، لا شكَّ في أنَّ الاحتجاب الإلهيَّ، بالنحو الذي يراه، له إمكانيَة أن يدخل في تعريف رو للشرور غير المبرَّرة

دراسة الدليل، شلينبرغ في ميزان النقد

قبل تناول الأسئلة التي تهدف هذه المقالة إلى الإجابة عليها، سيكون واجبًا صياغة البرهان مجدَّدا[4]، على النحو التالي:

---

[1]- -Schellenberg, John L. 'Response to Howard-Snyder', Canadian Journal of Philosophy, Vol. 26, No. 3. p: .456.

[2]- -ibid:456.

[3]- -ibid:458.

[4]- استنادًا إلى أسس ومباني شلينبرغ ووليام رو لبيان دعوى أنَّ احتجاب الله يمكن أن تستخدم كمصداق للشرِّ غير المبرّر.

1. هناك مصاديق عينيّة للشر غير المبرّر، والإلحاد المبرَّر هو أحد تلك المصاديق[1].

2. لو كان هناك إلهٌ خير مطلق، رحيمٌ بلا حدود، فلن يحدث إلحاد مبرَّر[2].

3. لا يوجد إلهٌ قادرٌ مطلقٌ، عالمٌ مطلقٌ، خيرٌ مطلقٌ، رحيمٌ بلا حدود؛

النتيجة: الله غير موجود.

إنَّ إقامة البرهان الإلحاديِّ على الاختفاء الإلهيِّ كونه مصداقًا من مصاديق الشرِّ غير المبرَّر، كالبراهين التي طرحها رو وشلينبرغ، أمرٌ ممكن من حيث الصورة؛ لكن لتقييم نتيجته لا بدَّ أولاً من التحقّق من صحَّة أو كذب كلٍّ من المقدِّمتين بالضرورة؛ لأنَّ النتيجة لن تكون صحيحة إلَّا إذا كانت كلُّ واحدة منهما صحيحة.

هل لدينا مبانٍ معقولة للاعتقاد بأنَّ المقدِّمة الأولى صحيحة؟

تنطوي هذه المقدِّمة على اقتراحين:

أ) أنَّ هناك مصاديق عينيَّة على الشرِّ بلا مبرِّر؛

ب) الاختفاء والاحتجاب الإلهيُّ هو أحد مصاديق الشرِّ غير المبرَّر.

وفي تقييم هذه المقدِّمة لا بدَّ من التوجُّه إلى النقاط التالية:

1. يبدو أنَّ المقدِّمة الأولى لهذا البرهان من نوع مصادرة المطلوب؛ وصفة غير مبرَّر تعني أنَّ الله قد يكون له مبرِّر لتجويز مثل هذه الشرور (رغم مظاهرها)، ولكنَّنا لسنا قادرين، بلحاظٍ أخلاقيٍّ، على إدراك دليل كافٍ لتجويزه؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ احتمال وجود وعدم وجود دليل على وجود الله، متساوٍ رغم عدم إدراكنا؛ لذلك لا يمكن أن يسوقنا هذا إلى عدم وجود الله؛ إلَّا أن نعتبر أنَّ الشرور عبثيّة تمامًا، وهذا الحكم بدوره يحتاج إلى إثبات؛ كما أنَّ توجيه وتبرير الإلحاد وعدم الإيمان هو حكم استباقيٌّ قبل إثبات المقدِّمات.

إنَّ تبرير الإلحاد وعدم اعتقاد بعض الأفراد، حتى في الأوضاع والأحوال التي يعتبرها شلينبرغ موجبة لذلك، هو حكمٌ يحتاج إلى أدلَّة كافية لإثباته؛ لعدم وجود أيٍّ من المعايير التي ذكرها لهذا التبرير، وما ذكره، أي: (وجود منهجيَّة تحقيقيَّة، ووعد التقليد من دون دليل، والسّعي الحثيث، والمصداقيَّة في الوضعيَّات المتعدِّدة، وحبّ الحقيقة، ومراقبة الذات، والتعاطي بمسؤوليَّة تامة

---

[1]- لأنَّ موجودًا قادرٌ مطلقٌ، عالمٌ مطلقٌ، خيرٌ محضٌ، وعظيمٌ بلا حدود يمكن أن يمنع وقوع ذلك من دون ضياع مصلحة أعلى أو تجويز شرور أكثر.

[2]- لأنَّ كلَّ شخص في زمان خاصٍّ كان له استعداد وميول لإقامة رابطة متقابلة مع الله، فكان يعتقد أنَّ الله موجود، بناءً على ملاكات معقولة على الأقل في ذلك الإطار الزمنيِّ، إلَّا إذا لم يكن بإمكانه في ذلك الإطار الزمنيِّ أن يؤمن بالله بنحو غير مبرَّر، أو أن يكون لدى الله أسباب مقنعة لتجويز عدم الإيمان به.

لتحقيق الموضوع)، ليس له معيار منطقيٌّ رياضيٌّ، فمثلاً لا نسطيع القول أنَّه كان من اللّازم إنفاق كميَّة n من الطاقة، ونحن قد أنفقنا مقدار الـ "n"، وكذلك الحبّ الحقيقيّ وغيره من الأمثلة، و... إذن، فالقول أنَّ هناك شرورًا في العالم ليس لها توجيه من قبل الله، أو القول بالإلحاد المبرَّر وغير القبيح عقلائيًّا هو في الواقع ضربٌ من مصادرة.

2. يرى ديلماس لويز أنَّ هناك خللاً منطقيًّا بين ما يبدو ظاهرًا غير مبرَّر وبين ما هو غير موجّه؛ فنحن حتى لو قبلنا أنَّ الاختفاء الإلهيَّ غير مبرَّر، فهذا لا يلازم حقيقة عدم التوجيه، لأنَّ القول بالتلازم بينهما فيه خللٌ منهجيٌّ استقرائيٌّ – معرفيٌّ عندنا، فإذا كان الله يملك دليلاً كافيًا من الوجهة الأخلاقيَّة للاختفاء، فليس بالضرورة أن نكون على اطِّلاع به أو أن ندركه[1].

3. إنَّ المقدِّمة الأولى تقوم على افتراض عمل القوى المعرفيَّة البشريَّة بنسبة 100%، فهل من الصحيح أن نذهب إلى القول بأنَّ ما هو مطلوب بشوق غير موجود في الخارج لمجرَّد عدم إدراكه؟[2]، بمعنى أنَّه إذا اشتاق الإنسان بكلِّ قواه إلى وعي أو إدراك مطلوب ما ولم يجده، فيعني هذا عدم وجوده؟ ولو افترضنا أنَّ إنسانًا فقد بصره لسبب ما، ويطلب بتمام وجوده رؤية محيطه، ولو للحظات ولم يوفَّق؛ هل يمكن أن يقول حينها على وجه اليقين إنَّه في فضاء فارغ لا وجود لشيء من حوله، لمجرَّد أنَّه سعى بتمام وجوده وصرف عمره في ذلك؟

بالطّبع لا، لذا لا يمكن تحميل الذهن البشريِّ معادلات كهذه أشبه ما تكون بالدعاوى التي دليلها عين طرحها، والقول أنَّ المراد ليس عدم الرؤية بالعين الباصرة، ويكفي الوصول إلى الشواهد والقرائن؛ لكن ليس من المستبعد أن يصاب هذا الإنسان بحادث آخر فيفقد أكثر من حاسّتين، فهل يؤكِّد هذا عدم وجود عالم واقعيٍّ حوله؟، وهل النظام المعرفيُّ البشريُّ موثوق لدرجة تمكِّنه من القول على وجه اليقين أنَّني إذا لم أجد علامة على وجود الله فهو غير موجود؟

يشير العديد من المباحث الدينيَّة إلى أنَّ الإنسان يعاني من ضعف معرفيٍّ في ما يتعلَّق بالله؛ فوجود الله ليس من سنخ الوجود البشريِّ وإنما هو موجود وراء ذلك. وقد أثبت العلم أنَّ هناك الكثير من الأصوات لا يسمعها الإنسان لأنَّها غير متناسبة مع أنظمة الاستقبال الصوتيَّة الخاصِّ به، وهذا دليلٌ على أنَّه من الإمكان أن يكون الله قد وضع علامات وجوده في الطبيعة، لكن لا يستطيع الإنسان أن يدركها لضعف قواه الإدراكيَّة إمَّا بالذّات أو بالعرض.

4. إنَّ الافتراض في هذه المقدِّمة هو عدم كون الاحتجاب الإلهيِّ مصداقًا للشرِّ غير المبرَّر؛ ولكن حتى لو كان صحيحًا أنَّه يمكن منع الشرِّ، بما في ذلك احتجاب الله، لكن لا يمكننا استنتاج أنَّ هذا المنع يجب أن يكون من جهة الله؛ وهذا ما لم يفترضه شلينبرغ لأنَّ ما يجب على الله

[1]- -Lewis, Delmas. 'The Problem with the Problem of Evil', Sophia, Vol. 22. p: .19.

[2]- يرجع هذا إلى القاعدة الأصوليَّة القائلة: عدم العلم لا يعني عدم الوجود. المترجم.

المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال أن يريد السعادة الأبديَّة لعباده، وهي تعتمد على إقامة علاقة متقابلة ذات معنى مع الله، وشرطها هو الإيمان، لكن السؤال هنا: هل الإيمان عمليَّة جبريَّة؟

حتى لو كان الله بقدرته المطلقة قادرًا على أن يسبِّب إيمان جميع الناس بظهور جليٍّ وواضح، لكن بسبب مسألة الاختيار، التي هي أعظم هديَّة وموهبة من الله الرَّحيم لعباده، فهذا أمر غير ممكن؛ وبتعبير أدقّ، إنَّ وجود شرور لا يمكن تجنُّبها أمرٌ ضروريٌّ ولا مفرَّ منه لحريَّة الإرادة البشريَّة الاختياريَّة، ومنه عدم الإيمان الذي نتيجته التي هي الحرمان من السعادة الأبديَّة، هو من بين الشرور التي لا يمكن الوقاية منها، لأنَّه إذا لم يقبل الإنسان الدليل الذي يقدِّمه لهم الله على وجوده بسبب العناد أو الأنانيَّة أو بعض الدوافع الأخرى، فلن يقدِّم الله ما يجبرهم على الإيمان[1].

5. يعتقد فيلسوف الدين جون هيغ في بحث الثيوديسيا أنَّ ولادة الإنسان وحياته لا ينبغي أن تكون في وضع يكون فيه الله واضحًا تمامًا وظاهرًا ظهورًا متقابلاً؛ بل إنَّ وجود مسافة فاصلة بين الله والإنسان ضروريٌّ حتى يتمكَّن من تحقيق الاستقلال وتحقيق الذات؛ نعم، البعد هنا ليس بُعدًا مكانيًّا، بل على وجه التحديد مسافة معرفيَّة هي بلا شكٍّ لازمة للإيمان، ومن دونها لن يكون الإيمان الواقعيُّ والحقيقيُّ ممكنًا، ولا ينبغي أن يكون حضور الله وظهوره بنحو يجبر الإنسان على الإيمان؛ ففي الواقع، المسافة المعرفيَّة موجبة لحفظ إرادة الإنسان الحرَّة واختياره. يجب أن يكون الله مستورًا ومحتجبًا وقابلاً للإدراك في الوقت عينه، فالاحتجاب والمستوريَّة يمنحان الإنسان نوعًا من الاختيار لإقامة علاقة مع الله، واقتضاء خير الله المحض ومحبَّته اللَّامتناهية هي تزويده بإمكانيَّة إدراك الذات وإدراك موقعيَّته بالنسبة إلى الله والعالم، حتى يتمكَّن من قبول دعوة الله المليئة بالفيض بحريَّة لا بجبر[2].

نعود إلى أسئلة البحث بعد النظر ببنية البرهان الأخير:

1. هل يمكن اعتبار الاختفاء الإلهيِّ مصداقًا للشرّ؟

2. هل يمكن حقًّا عدم تصوُّر أيِّ مبرِّر لاختفاء الله؟

- وفقًا للإجابات المقدَّمة، يمكن استنتاج أنَّه ليس فقط لا يوجد دليل على الادِّعاء بأنَّ الاحتجاب الإلهيَّ هو مصداق للشرِّ، بل يمكن أيضًا اعتباره نعمة أو فرصة للإنسان، توفر له إمكانيَّة الإيمان الحرّ.

---

[1]- -Lehe, Robert T. 'A Response to the Argument from the Reasonableness of Nonbelief',Faith and Philosophy, Vol. 21, No. 2. p: .160.

[2]- -John Hick's Response toThe Problem of Divine Hiddenness', The Heythrop Journal, Vol. 48. . p: .281.

Trakakis,. 'An Epistemically Distant God?, A Critique of John Hick's Response toThe Problem of Divine Hiddenness', The Heythrop Journal, Vol. 48.. p: .215.

- إنَّ البحث في المواضيع التي طرحها الفلاسفة المسلمون يدلُّ على أنَّ الوجود في العالم ذو ظاهر تشكيكيٍّ؛ كما يعتبر صدر المتألِّهين أنَّ الاختفاء الإلهيَّ يعود إلى شدَّة الظهور والوجود اللَّامتناهي لذات الباري عزَّ وجلَّ؛ وأنَّ عدم القدرة على إدراك وجوده يرجع إلى ضعف الإنسان في شهود شدَّة نورانيَّة وجود الله. لقد تمَّ طرح العديد من الأدلَّة في إثبات تجلّي وجود الله وظهور آياته في الكائنات، ممَّا يدلُّ على شهود قرائن وجوده في عجائب وتعقيدات خلق الإنسان والعالم؛ ولذلك فإنَّ اختفاء الله ليس غيابًا كاملاً لعلامات وجوده، بل إنَّ لله وجودٌ سارٍ في الكائنات، ويمكن لكلِّ إنسان أن يدرك تجلِّيات وجود الله حسب قابليَّاته.

- رغم أنَّه يمكن إقامة البرهان بصورة قياس بناءً على أنَّ الاختفاء الإلهيَّ كمسألة بديلة في البنية الظاهريَّة للبرهان الإلحاديِّ على أساس الشرِّ غير المبرَّر، ورغم أنَّ الكثيرين يرون أنَّ برهان شلينبرغ على الاختفاء الإلهيِّ يذكِّرنا بالبرهان الاحتماليِّ لويليام رو على الشرِّ غير المبرَّر، لكن من الواضح أنَّ إقامة مثل هذا الاستدلال عقيم تمامًا وغير موفَّق؛ رغم سعي رو تقديم مصاديق ملموسة للشرِّ تمكِّنه من إثبات المقدِّمة الاستقرائيَّة لبرهانه. ورغم أنَّ هذا الاقتراح موجب جزئيّ، إلَّا أنَّه إذا تمكّن من العثور ولو على مصداق واحد في العالم الواقعيِّ والعينيِّ، سيتمُّ إثبات صدقه، لكن حتى الآن لم يتمّ تقديم أيِّ مصداق يمكن أن يؤكِّد بشكل قاطع فقدان التبرير الأخلاقيِّ الكافي من قِبل الله لتجويز الشرِّ؛ كما لم يتمكَّن شلينبرغ والمدافعون عنه من إثبات وجود نوع خاصٍّ من الإيمان يمكن من خلاله تبرير عمل الملحد على افتراض وجود الله؛ ولذلك فإنَّ الاقتراح «ب» من المقدِّمة الأولى للبرهان هي إحدى القضايا الوهميَّة. ومن ناحية أخرى، فهو يعلم بنفسه أنَّ تأكيده على الشرور الأخلاقيَّة كمصاديق للشرِّ غير المبرَّر لا يمكن أن يُنجحه في إثبات مُدَّعاه، لأنَّ مسألة اختيار الإنسان يمكن أن تقدِّم إجابة مقابلة بسهولة نظرًا لأهميَّتها وشمولها.

خاتمة

بعد دراسة كلٍّ من مسألتَيْ الاحتجاب الإلهيِّ والشرِّ غير المبرَّر، وفقًا لأشهر القراءات التي قدَّمها كلٌّ من شلينبرغ وويليام رو، وبعد تحقيق مسألة الاحتجاب الإلهيِّ كمصداق للشرِّ غير المبرَّر، وهو ما يدَّعيه العديد من المفكِّرين، سواء بشكل صريح أم ضمنيٍّ، بما في ذلك شلينبرغ نفسه، وبعد دراسة الأدلَّة المقدَّمة في هذا المجال، تبيّن لنا أنَّ الأدلَّة القياسيَّة التي قدِّمت تبتني على زلَّات معرفيَّة، وكذلك استبدال احتجاب الله بصورة استدلال الشرِّ غير المبرَّر، أيضًا لا تقدِّم شيئًا. كما أنَّ صورة مقدِّمات البرهان الأخير تبدو أضعف بكثير من كل الصور السابقة. هذا فضلاً عن أنَّه لا يمكن تقديم تأكيدٍ قطعيٍّ على أنَّ الاحتجاب الإلهيَّ شرٌّ؛ لأنَّ إجاباتٍ بسيطةً مثل ضرورة الإرادة الحرَّة لاختيار الإنسان، أو ضعف قدراته المعرفيَّة، تكفي للإجابة على هذا الادِّعاء.

يمكن أيضًا تصوُّر العديد من الأسباب باللِّحاظ الأخلاقيِّ، بما في ذلك الإيمان الحرُّ، كأسباب

كافية لاحتجاب الله؛ لأنَّه يدعو عباده إلى الإيمان باختيار من دون إكراه؛ لذلك لا منافاة بين الاحتجاب الإلهيِّ وبين وجود الله، بل هو مبرَّرٌ تمامًا ولا يُعدُّ بأيِّ حالٍ من الأحوال شرًّا، إذ مثل هذا الاحتجاب ليس مطلقًا بأيِّ وجه من الوجوه.

قائمة المصادر والمراجع

1. Finberg, Jhon (2004). The Many Faces of Evil (Revised and Expanded Edition): Theological Systems and the Problems of Evil, Crossway Books.

2. Hick, John (2010). Evil and the God of Love, Macmillan: Palgrave.

3. Howard-Snyder, Daniel (1996).'The Argument from Divine Hiddenness', Canadian Journal of Philosophy.

4. Howard-Snyder, Daniel (2006). 'Hiddenness of God', Encyclopedia of Philosophy, New York: MacMillan.

5. Howard-Snyder, Daniel, and Paul K. Moser (eds.) (2002). Divine Hiddenness, New Essays, New York: Cambridge University Press.

6. Lehe, Robert T. (2004). 'A Response to the Argument from the Reasonableness of Nonbelief',Faith and Philosophy, Vol. 21, No. 2.

7. Lewis, Delmas (1983). 'The Problem with the Problem of Evil', Sophia, Vol. 22.

8. Rowe, William L. (1979). 'The Problem of Evil and Some Varieties of Atheism', American Philosophical Quarterly, No. 16.

9. Rowe, William L. (2007). William L. Rowe on Philosophy of Religion, Selected Writings, Evil and Theodicy, Burlington: Ashgate Publishing Company.

10. Schellenberg, John L. (1993). Divine Hiddenness and Human Reason, Ithaca and London: Cornell University Press.

11. Schellenberg, John L. (1996). 'Response to Howard-Snyder', Canadian Journal of Philosophy, Vol. 26, No. 3.

12. Schellenberg, John L. (2005). 'The Hiddenness Argument Revisited (I)', Religious Studies, No. 41, Cambridge University Press.

13. Schellenberg, John L. (2010). 'The Hiddenness Problem and the Problem of Evil', Faith and Philosophy, Vol. 27, No. 1.

14. Trakakis, Nick (2006). 'An Epistemically Distant God?, A Critique of John Hick's Response to The Problem of Divine Hiddenness', The Heythrop Journal, Vol. 48.

15. Trakakis, Nick (2007). The God Beyond Belief, In Defence of William Rowe's Evidential Argument from Evil, Dordrecht: Springer.

16. Tucker, Chris (2008). 'Divine Hiddenness and the Value of Divine-Creature Relationships',Religious Studies, No. 44, Cambridge University Press.